فكاهات

شرلوك هولمز (١)

— ١٤ —

حادثة بوهيميا

قسم لي الحظ ان تزوجت فانقطعت مدة طويلة عن صديقي شرلوك لانهما كي باشغالي البيتية التي يعلمها كل متزوج والتي يعرف انهـا تستغرق كل وقتهِ ولا سيما وانني عدت الى ممارسة صناعتي في الطب لكسب معاشي والقيام بالنفقات الكثيرة التي تطلب مني . وكنت كلما خلوت بنفسي ارجع بافكاري الى ذاك الصديق فاعيد كلامهُ وتصوراتهِ واعمالهُ وكثيراً ما كنت اقف معجباً بامر استغربتهُ فيهِ وهو شدة اهتمامهِ بصناعتهِ فانهُ كان اذا لم تتوفر لديهِ الحوادث يخترع لنفسهِ مشكلاتٍ يسعى في حلها طلباً لشحذ قريحتهِ وتمرين نفسهِ . وكان اشتغالي باموري الخاصة مع انقطاع شرلوك بنفسهِ في البيت القديم الذي سكناهُ معاً مما حال دون لقيانا غير انني كنت اقف على اخبارهِ من حين الى آخر في الجرائد فيسرّني ما اتلو عن نجاحهِ في الامور التي توكل اليهِ

وحدث في مساء العشرين من شهر مارس سنة ١٨٨٨ انني عدت مريضاً من اصدقائي واتفق رجوعي من شارع باكر فلما مررت بباب المنزل الذي يسكنهُ صديقي نازعتني نفسي الى مقابلتهِ ونظرت الى غرفتهِ فرأيتها منوَّرة ثم رأيت شبحهُ الضئيل الطويل يسير ذهاباً واياباً امام النافذة وقد اسند ذقنهُ الى صدرهِ وجعل يديهِ وراء ظهرهِ كشأنهِ اذا كان في تفكر عميق فعلمت ان لديهِ مسئلة عويصة

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

يحلها . فقرعت الجرس ولم يكن الا قليل حتى صرت في غرفتهِ فاستقباني ببريق عينيه وهي الاشارة الوحيدة التي كان يظهر بها سرورهُ و بعد ما جلست نظر اليَّ طويلاً حسب عادتهِ وقال يظهر لي ان الزواج قد افادك يا عزيزي وطسن فلا اشك ان صحتك في تحسن وقد زاد ثقلك سبعة ارطال ونصفاً عما كنت اعهدك . قلت انت مصيب في تخمينك فانني زدت سبعة ارطال . قال واراك قد رجعت الى مزاولة الطب فلمَ لم تخبرني بذلك . قلت ومن اعلمك به اذاً . قال علمتهُ الآن كما علمت ايضاً ان خادمتك مهملة كسلى وانك كنت تعود مريضاً من مدة يومين ورجعت تحت المطر فابتل ثوبك وغصت في الوحول . فاستغربت كلامهُ غاية الاستغراب وقلت ما هذا ايها العزيز شرلوك وكيف علمت ذلك فانني في الحقيقة ذهبت الى خارج البلدة اول امس وعدت تحت المطر الغزير حتى لم اكد اصدق انني سأبلغ البيت . اما خادمتي فهي كما ذكرت وقد اعلمتها زوجتي اننا سنستغني عنها في آخر الشهر ولكن من اطلعك على هذه الخفايا فانك تحملني على ان اعتقد فيك السحر واؤكد انك لو كنت قد ولدت قبل قرنين لاحرقوك حيًّا . فقهقه شرلوك وقال لا شيء من السحر في هذا يا عزيزي وطسن بل ان الامر في غاية الوضوح فقد رأيت مؤخر حذآئك الايسر وعليهِ ستة خطوط متوازية لا شك انها من آلة حادّة استُعملت لنزع الوحل عنهُ فعلمت من هذا انك سرت تحت المطر وغصت في الوحل وان الشخص الذي نظف حذآءك وهو الخادمة مهمل كسل . اما عودتك الى مزاولة الطب فقد شممت رائحة اليودوفورم حال دخولك ورأيت آثار نترات الفضة على سبابتك وطرف المسمعة الصدرية بارزاً من جيبك فاذا لم تؤكد لي هذه الامارات انك تمارس الطب كنت اعظم الاغبيآء . انني لست ساحراً يا وطسن ولا انا اعظم من غيري من البشر ولكنني ارى واتدبر وغيري يرى فقط وقد عشنا معاً في هذا البيت سنوات عديدة فهل تذكر كم مرة صعدت السلم الموصل الى هذه الغرفة . قلت الوفاً من المرار . قال وهل تعلم كم عدد درجاتهِ . قلت كلا فانهُ لم يخطر لي قط ان اعدها . قال هذا هو الفرق بيننا فانك لم تعدها لانهُ لم يخطر لك

ان في عدّها نفعاً اما انا فافتكرت انني ربما اضطرّ الى صعودها او نزولها ليلاً بدون نور فعددتها اول مرة ووجدتها سبع عشرة درجة فحفظت ذلك . وعلى ذكر الحفظ والتدبر ربما يلذ لك ان تطلع على امرٍ جآءني اليوم ولما قال هذا دفع اليّ رقعة حمرآء اللون وقال اقرأ هذه بصوتٍ عالٍ فقد جآءتني اليوم مع البريد . فنظرت الى الرقعة ولم يكن عليها تاريخ وقرأت فيها ما يأتي « سيزورك في مسآء اليوم عند الساعة الثامنة شخص يود استشارتك في امر ذي بال فان المهمة التي قمت بها لدى بعض بيوت اوروبا المالكة تؤكد لي انهُ يمكن الاتكال عليك في حفظ سر عظيم الاهمية. اما مهارتك فقد اصبحت مما يشهد بهِ كل احد فكن في غرفتك في الوقت المعين ولا تستأ اذا وجدتني اخفي وجهي باثام » . ولما اكملت القرآءة نظرت الى شرلوك مستغرباً فتبسم وقال بلغتني هذه الرقعة وانا لا اعلم عنها شيئاً اكثر مما تعلم انت الآن فجعلت ادرسها درساً مدققاً فاستنتجت ان يرسلها ذو ثروة لان هذا الصنف من الورق غالي الثمن وهو خاص ببعض الناس . ثم رفعت الرقعة ازآء النور فوجدت فيها حروفاً مرسومة بالطباعة المآئية حلتها فوجدت انها اسم الشركة التي تصنع هذا الورق وهي في إجريا الالمانية من بوهيميا لا تبعد كثيراً عن كارلسباد . ثم علمت ان الكاتب الماني لاني وجدت بعض الحروف مكتوبة على صورة لا تكتب بها الا في اللغة الالمانية واكد لي ذلك ايضاً نسق تركيب جملها . فلم يبقَ عليّ الاّ ان اقابل هذا الكاتب الالماني لانظر في طلبهِ وانني اسمع الآن وقع حوافر جوادين يجران مركبة فلا يبعد ان يكون هو القادم . ولم يكد يتم شرلوك كلامهُ حتى وقفت المركبة امام الباب وقُرع الجرس فنهضت مستأذناً للانصراف فمنعني قائلاً ان في الامر اهمية ربما يلذ لك سماعها فابقَ قلت ولكن اخشى ان يكون حضوري مما يسوء الزائر . قال لا بأس فسأعلمهُ انك شريكي ومن المحتمل ان نحتاج الى معاونتك. وفي تلك الدقيقة فتح باب الغرفة ودخل رجل طويل القامة عليهِ لباس العظمة والترف تزينهُ الشرائط الذهبية مما يدل على الرفعة والغنى وقد اخذ قبعتهُ بيدهِ وستر وجههُ لثام اسود لا يظهر منهُ الا العينان . وبعد ان حيّا قال قد اعلمتك في رسالتي

اني قادم اليك فهآء نذا وكان يتكلم بلهجةِ المانية وهو ينظر من الواحد الى الآخر لا يعلم ايٌّ منا شرلوك . وللحال كلمهُ شرلوك قائلاً تفضل يا سيدي بالجلوس وائذن لي ان اعرّفك بصديقي الدكتور وطسن وهو خير رفيق ومساعد لي في اشغالي وارجو منك ان تمنَّ عليَّ بمعرفة الشخص الذي اتشرف الآن بمخاطبتهِ . فجلس الزائر وقال اما انا فالكونت ڤون كرام من اشراف بوهيميا واما حديثي فاودّ ان اتلوهُ امامك فقط الا اذا كنت تعلم ان صديقك نظيرك يكتم ما سيسمعهُ الآن . فلما سمعت ذلك نهضت ثانيةً اريد الانصراف فاستوقفني شرلوك وقال لهُ ان احدنا لا يكتم عن الآخر شيئاً فيمكنك ان تبدأ بحديثك بدون خوف . قال حسن فأبدأ اذاً باخذ عهد الشرف منكما ان تحفظا هذا السر العظيم الى سنتين من الآن لانهُ بعد ذلك لا يبقى لحفظهِ اهمية . ولما عاهدناهُ على الكتمان قال اعذراني على ابقآء اللثام فان مرسلي يود ان لا يُعرف رسولهُ واظن انهُ لا يلزمني ان اقول لكما ان الاسم الذي ذكرتهُ لكما الآن ليس هو اسمي الحقيقي . فتبسم شرلوك وقال قد عرفت ذلك يا مولاي . فقال الرجل ان شدة الحذر واجبة لئلا يشيع الامر فتكون عاقبتهُ شديدة الوخامة على احدى الاسر المالكة في اوربا و بعبارة اوضح اقول ان القضية مختصة باسرة اورمستين الشهيرة المالكة في بوهيميا . فتبسم شرلوك ثانيةً وقال وقد عرفت هذا ايضاً يا مولاي ثم اطبق عينيهِ واستند الى كرسيهِ منتظراً تتمة الكلام ولم ينتبه الى الزائر الذي بدت عليهِ علامات الاستغراب الشديد فتوقف عن الكلام وجعل يتفرس فيهِ صامتاً

و بعد هنيهة فتح شرلوك عينيهِ ونظر اليهِ متضجراً من توقفهِ وقال لهُ اذا تنازلت جلالتك لاتمام الحديث يسهل عليَّ القيام بخدمتك . وما سمع الزائر كلمة جلالتك حتى وثب عن كرسيهِ كأن افعى لدغتهُ فجعل يسير في الغرفة ذهاباً وايابًا باضطراب عظيم ثم وقف فجأةً ومزّق اللثام عن وجههِ وقال انك مصيب يا هذا فانا ملك بوهيميا وعلامَ اخفي نفسي . فتبسم شرلوك ثالثةً وقال انهُ حالما وطئت قدما جلالتك باب هذه الغرفة عرفت ان زائري ليس الا ولهلم جوتسريخ سجسموند ڤون

اورمستين غراندوق كاسل فلستين ملك بوهيميا . فجلس الملك على كرسيهِ وقال لا يغرب عنك انني لم اعتد ان اقضي اموراً كهذه بنفسي ولكن خطورة الامر لم تسمح لي ان اسلمهُ الى احد فلذلك انيت متنكراً من براغ لاصل اليك واستشيرك . اما قصتي فهي انني منذ خمس سنوات زرت مدينه وارزو وتعرفت بالسيدة ارين ادلر المشهورة التي لا بد انكما سمعتما باسمها . فمد شرلوك يدهُ الى مكتبتهِ واخذ كتابهُ و بعد ان قلب بضع ورقات قرأ ما يأتي « ارين ادلر ولدت في اميركا سنة ١٨٥٨ واتخذت حرفة التمثيل فاشتهرت في دار التمثيل الملوكي في وارزو ولما جمعت مالاً كافياً تركت صناعتها واتت انكلترا » . ولما اتم قرآءتهُ نظر الى زائرهِ وقال يغلب على ظني ان جلالتك علقت هذه الفتاة الغانية وانك كتبت اليهـا بعد عشقك لها وانت تودّ الآن استرجاع مراسلاتك . فقال الملك نعم هذا ما اتيت لاجلهِ . فقال شرلوك وهل تزوجت بها . قال لا . قال وهل كان بينكما اوراق رسمية تشير الى ذلك . قال لا . قال فاذاً ماذا يخيفك من تلك الرسائل وهل تخشى ان تستخدمها لتبتزّ ثروتك واذا كان هذا قصدها فكيف يمكنها اثبات ذلك . قال عندها خطي . فقال شرلوك هو مزوّر . قال وورقي الخاص . قال هو مسروق . قال وختمي . قال مقلد . قال وصورتي . قال مشتراة . فقطب الملك حاجبيهِ وقال لسوء الحظ لا يمكن قبول هذا الاحتجاج لان الصورة تضمني واياها . فعض شرلوك على شفتهِ السفلى وقال ان هذا موجب الخوف يا مولاي . فقال الملك انني لم اهتم بشيء في ذلك الوقت لانني كنت وليّ عهد وانا حتى الآن لم ابلغ الثلاثين من عمري . فقال شرلوك ان الصورة تهم اكثر من كل شيء فيجب استرجاعها . قال قد حاولت ذلك كثيراً فلم اجد اليهِ سبيلاً . قال اشترِها بالمال . قال انها لا تبيعها . قال فاسرقها . قال قد حاولنا ذلك خمس مرات فلم نفلح وفتشنا امتعتها مرتين في اثناء سفرها فلم نقف للصورة على اثر . وهي ولاشك تهتم بحفظ هذه الصورة اهتمامها بحفظ حياتها لانهُ بلغها انني ساقترن بالبرنسة كلوتيلد ابنة ملك سكنديناڤيا وهي تعلم ان اقل شبهة تلقى عليّ تحول دون اتمام هذا الزواج وفي نيتهـا ان ترسل الصورة الى اهل عروسي

المستقبلة . فقال شرلوك وهل انت متحقق انها لم ترسلها حتى الآن . قال نعم لانها قالت انها سترسلها يوم عقد الخطبة اي يوم الاثنين القادم . فقال شرلوك اذاً امامنا ثلاثة ايام نسعى فيها وهو وقت كافٍ وانت ولا شك ستبقى في لندن فاعطني عنوانك لاكاتبك اذا اقتضت الحال واعلمني المبلغ الذي تسمح لي بانفاقهِ في سبيل هـذا البحث . فقال الملك انني سابقى هنا هذه المدة تحت الاسم الذي اعطيتكهُ اولاً وهو الكونت ڤون كرام ومحل اقامتي لانهـام اما المال فاني مفوض اليك امري حتى لو اضطررت الى بيع ايالةٍ من مملكتي اما الان فخذ هذه الاوراق وقيمتها الف ليرة . واعلم ان ارين تقيم في شارع سر بنتين بقرب غابة القديس يوحنا وان الصورة من القياس الكبير المعروف بكابينه . فكتب شرلوك وصلاً بالمبلغ دفعهُ الى الملك ثم اخذ دفترهُ فكتب فيهِ عنوان تلك الغانية وشيع زائرهُ الى الباب واعداً انهُ سيبذل جهدهُ وانهُ ربما يفيدهُ شيئاً في الغد . ولما سارت العربة بالزائر نظر اليَّ شرلوك وقال لا احب ان اعوقك اكثر ايها العزيز وطسن ولكن ارغب اليك ان تأتي اليَّ بعد ظهر الغد لنتكلم معاً في امر هذه الحادثة

وعند الساعة الثالثة من اليوم الثاني ذهبت الى بيت صديقي فلم يكن هناك وعلمت من الخادمة انهُ خرج منذ الصباح ولم يعد . فدخلت الغرفة وجلست انتظرهُ الى الساعة الرابعة واذا بالباب قد فتح ودخل منهُ خادم يترنح بالسكر وقد تورَّم وجههُ وانتفش شعرهُ وتمزقت ثيابهُ فعجبت من دخول هذا الخادم الغريب ومع اعتيادي مشاهدة شرلوك في تنكرهِ لم اعرفهُ حتى رايتهُ دخل غرفة نومهِ وعاد بعد بضع دقائق بثيابهِ العادية فجلس امامي واستغرق في الضحك ثم قال لو علمت يا وطسن كيف قضيت نهاري وماذا فعلت لضحكت اكثر مني الآن . قلت لا شك انك كنت تراقب بيت ارين ادلر وتلاحظ حركاتها. قال نعم قد خرجت صباحاً في زي خادم وما عتمت ان بلغت منزلها وعرفت غرفهُ ومداخلهُ ومخارجهُ واثاثهُ ورياشهُ ثم نمت على الطريق شأن الخدم الكسالى المطرودين من اعمالهم . ولم يكن الا القليل حتى رأيت خدم السيدة ادلر قد خرجوا الى عملهم فساعدتهم في تنظيف الخيول والحديقة

ونلت جزآء مساعدتي بنسين وكأس خمر ولفافتي تبغ . وكنت اسارقهم الحديث فعلمت منهم كل ما يعرفونهُ عن سيدتهم وانها تتعاطى الغنآء في ندوة قريبة وتخرج في عربتها كل يوم في الساعة الخامسة للنزهة وترجع في السابعة لتناول العشآء ولا يزورها من الناس الا رجلٌ واحد يدعى جودفري نورتون وهو اسمر اللون جميل الخلقة قوي العضل . و بعد ان علمت كل ذلك جعلت افكر في طريقة اجري عليها وعلمت ان لهذا الرجل جودفري شأناً كبيراً في الامر الذي نحن بصددهِ وانهُ محامٍ ولكن ما شأنهُ في زيارة ارين وهل هي من الذين يتوكل عنهم ام من اصدقآئهِ ام معشوقتهُ فان كان الاول فلا يبعد ان تكون قد اعطتهُ الصورة وان كان الاخير فلا يمكن ان يكون ذلك . وحينئذٍ جعلت اؤامر نفسي هل اجعل بحثي في منزلها او احول نظري الى استطلاع حالة الرجل وانت لا تجهل دقة الامر وانهُ يزيد في وعورة مسلكي . و بينما انا غارق في تأملاتي رأيت مركبة قد جآءت فوقفت امام البيت ونزل منها رجل اسمر اللون جميل الصورة لم اشك في انهُ نفس الرجل الذي سمعت عنهُ فدخل المنزل و بقي في زيارتهِ نحو نصف ساعة رأيتهُ فيها من النافذة يسير ذهاباً وايابا ويهز يديهِ بقلق شديد. اما هي فلم أرَها . و بعد قليل خرج وقال للحوذي طِرْ بي الى محل جروس وهانكي في شارع ريجنت ثم الى كنيسة القديسة مونيكا ولك مني نصف ليرة علاوة على اجرتك اذا اتممت ذلك في عشرين دقيقة . و بينما انا افكر في هل اتبع الرجل اذا بصوت السيدة قد قرع اذني وهي تستدعي احد خدمها فامرتهُ ان يعد مركبتها . ولم يكد يفعل حتى خرجت فركبتها وصاحت بهِ اسرع بي الى كنيسة القديسة مونيكا ولك نصف ليرة اذا اوصلتني في عشرين دقيقة . فلم اعد استطيع صبراً وخطر لي ان اتعلق بمؤخر عربتها ولكنني قبل ان افعل رأيت مركبة قادمة من جهة اخرى فاستوقفتها وقبل ان يمانع حوذيها في ركوبي بتلك الهيئة قلت لهُ اذهب بي الى كنيسة القديسة مونيكا ولك مني نصف ليرة اذا اوصلتني في عشرين دقيقة . فالهب جواديهِ بالسوط وسار بي بسرعة لم اسر بمثلها قبلاً حتى بلغت الكنيسة فوجدت امام بابها المركبتين السابقتين فنقدتهُ الاجرة

ودخلت الكنيسة كما يدخل الفقرآء والمساكين فلم ارَ فيها سوى الشخصين اللذين ذكرتهما امام المذبح وبازآئهما كاهن . وحانت من الرجل التفاتة فرآني فصاح قائلاً لله الحمد فان هذا الغريب يقضي اربنا ثم اسرع اليَّ وقبل ان افهم مرادهُ جرَّني الى المذبح وجعل يملي عليَّ اجوبة لاقولها للكاهن فلم افهم شيئاً منها الا انني علمت انهُ يُعقد على ارين ادلر لجودفري نورتون . وبعد اتمام بركة العقد شكرني العروسان واعطتني العروس ليرة سأحفظها في سلسلة ساعتي ما حييت . ولما خرج العروسان من الكنيسة قالت لهُ انني سأخرج لنزهتي حسب العادة في الساعة الخامسة ثم ركبت عربتها وعادت الى منزلها وعاد هو الى منزلهِ وانطلقت انا الى تدبير شؤوني . اما الآن فالارجح انني احتاج الى مساعدتك يا وطسن فهل تحب ان ترافقني . قلت انت تعلم انني اطوع لك من بنانك . قال ولعلهُ يكون في عملنا ما يوجب سجننا . قلت لا يهمني ذلك اذا كان في سبيل الخير . قال اذاً يجب ان نكون بعد ساعتين في محل العمل فان السيدة ارين ترجع من نزهتها في الساعة السابعة فيجب ان نكون في منزلها لاستقبالها وقد اعددت كل ما يلزم فلا تهتم بشيء الا بان لا تتداخل فيما افعلهُ مهما حدث وربما يصيبني مكروه فلايهمك الامر . وسينقلوني الى داخل البيت . وبعد دخولي تُفتح نافذة الغرفة فيجب ان تكون بجانب النافذة وتراقب اعمالي ومتى رفعت يدي فارم الى داخل الغرفة بشيء اعطيكهُ وصح باعلى صوتك النار النار وسيردد الصراخ جمهور الخدم والمارّة فمتى حصل ذلك فاسبقني الى آخر الشارع حيث اوافيك بعد بضع دقائق . فهل فهمت وهل انت مستعدٌّ للقيام بكل ذلك . قلت اني لم اخالف لك امراً في الماضي وستجدني كذلك في المستقبل . قال حسنٌ ثم دخل غرفتهُ وعاد بعد هنيهةٍ بثوب كاهن بسيط . ومن غريب امر شرلوك انهُ كان لهُ مقدرةٌ عظيمة على تغيير ملامحهِ حتى لو وقف امامك لاستطاع ان يحجب عينيك عن معرفتهِ بمجرّد ان يتبسم او ينفخ خديهِ او يغمض عينيهِ . ولما اتم كل ذلك خرجنا وسرنا معاً فبلغنا شارع سربنتين ورأيت المنزل كما وصفهُ لي شرلوك ورأينا بالقرب منهُ جمهوراً من الفعلة يدخنون ويسيرون ذهاباً وايابًا فدخلنا بينهم . وكان

شرلوك يقول لي ان الصورة الآن سلاح ذو حدين في يد ارين يخشى عليها منهُ فهي لا تحب ان يراها زوجها الجديد كما انها لا تريد ان يسترجعها منها صاحبنا فاين تكون الصورة يا ترى . ولست اظن انها تخفيها في ثيابها فان حجمها لا يسهل اخفآؤهُ وفضلاً عن ذلك فهي تخشى ان يسعى الملك في اغرآء من يلاقيها و ينزعها منها وقد حاول ذلك كما اخبرنا فلا يبعد ان تكون قد اودعتها عند محاميها او عند صرافها . ولكن النسآء في الغالب يفضلنَ الاعتماد على انفسهنَّ وفوق كل ذلك فهي تنوي ان تستخدم هذه الصورة بعد يومين فالارجح انها لا تزال في منزلها . فقلت ولكن الملك قد ارسل ايضاً مراراً لصوصاً ليسرقوها فلم يجدوها . قال يحتمل ذلك لانهم لم يعلموا اين يبحثون عنها . قلت وكيف يمكنك ان تعرف ذلك انت . قال سأجعلها ترشدني اليها بنفسها . وبينما نحن في الكلام جآءت العربة تقل ارين ولما بلغت الباب اسرع احد الفعلة ليفتح لها باب المركبة فزاحمهُ آخر ثم تقدم ثالث ورابع وكلهم يودّ ان يفتح الباب بنفسهِ لينال اجرتهُ من السيدة وانتهى الامر بينهم بالملاكمة والضرب . واخيراً فتحت السيدة باب مركبتها وترجلت فوجدت نفسها بين زمرة الفعلة وهم في قتال عنيف واذا بشرلوك قد وثب بينهم حتى وصل اليها وهو يحاول ان يحميها منهم و يقودها بسلام . ولكنهُ لم يكد يمد ذراعيهِ لحمايتها حتى سمعتهُ قد صرخ صرخة المتألم واذا بالدم يسيل على عينيهِ ووجههِ فانطرح الى الارض كمن فقد الحركة . وكانت هذه العلامة المتفق عليها بينهُ و بين الفعلة كما علمت بعدئذٍ فلما رأوهُ سقط لاذوا بالفرار ولم يبقَ في كل الشارع احد . اما ارين فانها تقدمت الى منزلها وصعدت السلم حتى بلغت اعلاهُ فوقفت ونظرت الى ورآئها ثم سألت الحوذي هل تألم الرجل المسكين كثيراً . قال اظنهُ مات يا مولاتي . وكان قد اجتمع بعض الجيران والمارّة فقال احدهم انهُ لم يمت بعدُ ولكنهُ سيموت قبل ان ينقل الى المستشفى . فقال الحوذي انهُ مات في سبيل انقاذكِ يا مولاتي فلا يليق ان نتركهُ في وسط الشارع فهل تأمرين ان ندخلهُ الى هنا. قالت نعم فاحملوهُ الى غرفة الجلوس وضعوهُ على المقعد الذي فيها . وللحال حملهُ بعضهم فاوصلوهُ الى الغرفة المذكورة وجلست

انا بقرب النافذة واخذت الكرة النارية التي اعطاني اياها واستعددت للعمل

ورأيت شرلوك يُظهر من الحركات ما يدل على ضيق نَفَسهِ فاسرعت الخادمة الى النافذة وفتحتها وللحال رأيتهُ قد رفع يدهُ فالقيت الكرة الى داخل الغرفة وما بلغت ارضها حتى اشتعلت وخرج منها دخان كثيف فصحتُ باعلى صوتي النار النار. ولم اكد اصيح بذلك حتى سمعت جمهوراً يردد ذلك النداء بعدي وكان الدخان قد ملأ الغرفة وانتشر من نوافذها ورايت الناس يجرون من ناحية الى اخرى . ثم بعد قليل سمعت صوت شرلوك يطمئنهم ويقول الامر سهل لا تخافوا فاغتنمت الفرصة وانسللت بين القوم الى طرف الشارع فانتظرت نحو عشر دقائق وما صدقت ان رايت صديقي شرلوك قد تبعني فوضع يدهُ في يدي وقال هلمَّ بنا وكانت هيئتهُ وحركاتهُ تدل على عظم سروره . و بعد ان سرنا مسافة صامتين قال انك قد قمت بعملك كما ينبغي يا عزيزي وطسن فانا اشكرك . قلت دعنا من هذا فهل حصلت على الصورة . قال لا ولكن علمت اين هي . قلت وكيف علمت ذلك . قال هي ارشدتني اليها كما قلت لك . قلت زدني ايضاحاً لله درُّك . فتبسم وقال لا شك انك تجهل ان الفعلة والمارَّة والجيران وكل الذين رايتهم في هذه الساعة على الشارع انا استأجرتهم لتشخيص هذه الرواية وان الدم الذي غطى وجهي كان مزوَّراً ليستجلب الشفقة عليَّ ويجبر السيدة ان تنقلني الى منزلها والى الغرفة التي قدَّرتُ انها تخفي الصورة فيها لانها ملاصقة لغرفة نومها. فوضعوني على المقعد وطلبت الهوآء ففتحوا النافذة فالقيت انت الكرة النارية ومن البديهي ان الانسان اذا رأى منزلهُ يحترق يسرع بالطبع لوقاية اثمن شيء عندهُ ومعلوم ان السيدة ارين لا اثمن عندها اليوم من الصورة فهي ولا بد تسرع اول كل شيء لتخلصها . وقد نجحت حيلتنا نجاحاً باهراً لان تشخيص الحريق كان طبيعيًّا وقد تم ما كنت اترقبهُ وعرفت ان الصورة محفوظة في نقبٍ ورآء لوح خشبي فوق يد الجرس الذي الى يمين الباب لاني رايت ارين عند مشاهدتها النار والدخان قد اسرعت اليها فاخرجتها من مخبأها ونظرتها بعيني فلما اعلمتهم ان لا خوف من الحريق اعادتها بسرعة كلية الى مخبأها ثم خرجت

من الغرفة ولم اعد اراها . اما انا فنهضت واعتذرت عما اصابني وخرجت وقد كان بودي الاستيلاء على الصورة للحال غير انني رأيت السائق قد دخل وهو ينظر اليَّ نظر المراقب فخشيت ان افعل مايعود علينا بالخسارة وفضلت الانتظار . فقلت وماذا ترى ان تفعل الآن . قال قد اتممنا كل الاستعداد وغداً اذهب واياك والملك لزيارتها فيدخلوننا الى غرفة الاستقبال لننتظرها ولعلها لا تاتي لمقابلتنا حتى نكون قد اخذنا الصورة وخرجنا . قلت ومتى يكون موعد الزيارة . قال في الساعة الثامنة صباحاً قبل ان تكون قد نهضت من فراشها ولكن يجب ان اكتب الى الملك حالاً واعلمهُ بذلك . وكنا قد بلغنا منزل شرلوك فوقف امام بابهِ ليفتحهُ واذا بشبحٍ نحيف قد مرَّ من رصيف الطريق الثاني وقال اسعد الله مساءك يا سيدي شرلوك هولمز . ثم اخفتهُ الظلمة عنا فلم نرَهُ . فوقف شرلوك هنيهةً مفكراً وهو يقول قد سمعت هذا الصوت قبل الآن فمن يكون يا ترى وقد شغل بالي

ونمت تلك الليلة في منزل صديقي استعداداً للصباح ولما نهضنا تناولنا شيئاً من القهوة واللبن واذا بملك بوهيميا قد دخل فامسك بكتف شرلوك وقال لهُ اخبرني هل حصلت على الصورة . قال كلا ولكن لي امل في الحصول عليها فيجب ان نسير الآن فقال الملك ان عربتي بالانتظار فهلمَّ بنا . ولما سارت بنا العربة قال لهُ شرلوك ان ارين ادلر قد تزوجت امس بمحامٍ انكليزي يدعى نورتون . قال ومامعنى هذا الزواج فهي لا يمكن ان تحبهُ . قال شرلوك بل اتمنى انها تحبهُ من كل قلبها فانها بذلك تنفي عنك كل خوف في المستقبل لانها اذا احبت زوجها انصرفت عن محبتك فلا يبقى خوف منها ان تتداخل في امورك . فقال الملك نعم هذا صحيح ولكن آه يا ليتها كانت من مقامي فانها كانت تكون اعظم ملكة وضع على رأسها تاج . ولما بلغنا منزل ارين وجدنا بابهُ مفتوحاً فقابلتنا عجوزٌ شمطاء وقالت بتبسم ان احدكم المستر شرلوك هولمز فاهلاً بهِ . فقال شرلوك نعم انا هو فمن اين فعرفيني . قالت قد قالت لي مولاتي انك ربما تأتي اليوم لزيارتها اما هي فقد سافرت مع زوجها في قطار الساعة الخامسة . فارتعش شرلوك وصعد الدم الى وجههِ وقال ماذا

تقولين أصحيح ان مولاتكِ قد سافرت . قالت نعم فقد تركت انكلترا ولن تعود اليها بعد . فقال الملك بصوت اجشّ والاوراق آه خسرنا كل شيء . اما شرلوك فتقدم امامنا ونحن نتبعهُ الى الغرفة المعهودة فوجدنا اثاثها مبعثراً هنا وهناك والخزائن والادراج مفتوحة مما يدل على انها اخذت ما تحتاج اليهِ منها قبل هربها . واسرع شرلوك الى مخبأ الصورة فمد يدهُ الى النقب فاخرج منهُ كتاباً وصورة وكانت الصورة صورة ارين وحدها واما الكتاب فكان معنوناً باسم شرلوك هولمز وقد كتبت عليهِ انهُ يجب ان يبقى الى ان يطلبهُ . فمزق شرلوك الغلاف واجتمعنا معاً لقرآءتهِ فاذا فيهِ ما يأتي

« عزيزي المستر شرلوك هولمز . انك في الحقيقة اتممت عملك بمنتهى المهارة حتى اوشكت ان تغلبني ولم يخامرني شيء من الريب الى ان اتممت امر الحريق فعلمت انني افشيت سري . وقد حذروني منك منذ اشهر واعلموني انهُ اذا استخدم الملك احداً فلا يكون غيرك وقد اعطوني عنوانك ووصفوا لي هيئتك ومع كل ذلك فقد جعلتني مع كل احتراسي اكشف لك ما تريد معرفتهُ

« نعم انني بعد ان عرفت مقدرتك لا ازال اشفق على الكاهن المسكين الذي كاد يموت بسببي ولكن لا يغرب عن بالك انني أنا أيضاً ممثلة وان لباس الرجال غير غريبٍ لديَّ فحالما تحققت وقوعي في شركك صعدت الى غرفتي وارسلت السائق ليراقب ما تفعل ثم لبست لباس رجل ونزلت حال خروجك فتبعتك الى ان بلغت منزلك وتحققت انني لم اخطئ في ظني. وقد تهوّرت في القآء السلام عليك قبل دخولك منزلك وخشيت ان تتأثرني بعد ذلك ولكنني توجهت توًّا الى منزل زوجي وقد رأينا الاوفق لراحتنا ان نهرب لنتخلص من عدوٍّ قادر نظيرك . فمتى زرتنا كما تنوي ستجد العش خالياً والطائر في الهوآء . اما الصورة التي يطلبها صاحبك فقل لهُ لا يهتم بها لان الذي احبهُ ويحبني رجلٌ افضل منهُ فليفعل الملك ما أراد بدون أدنى خوف من ممانعة هـذه المسكينة التي أخطأ في حقها . ولكني سأبقي الصورة لحمايتي أنا فقط ولتكون ترساً لي يقيني شرورهُ اذا أراد أن يتأثرني في

المستقبل وسأترك مكانها صورة أخرى من صوري ربما يشآء أن يحفظها والسلام »

« ارين أدلر نورتون »

ولما فرغنا من قرآءة الكتاب قال الملك ما أغرب هذه المرأة ألم أقل لكما انها كانت تكون أعظم ملكة واني لآسف أن تكون دون مقامي فان مقدرة عقلها وسرعة تصورها وغريب ذكآئها وشدة نباهتها كل ذلك كان برفعها الى اسمى درجات العظمة لو لم تستعملهُ في مآربها الشخصية وتسعَ به ورآء نفعها الخاص . . . .

فقال شرلوك قد قلت حقًّا يا مولاي انها من درجة غير درجتك واني آسف لعدم تمكني من ان ينتهي هذا الامر على وفق مرامك . فقال الملك بل الامر بالعكس فانهُ لم يكن من الممكن ان ينتهي على احسن مما انتهى فانا اعرف ارين واعلم ان كلمتها لا تراجع وان الصورة لا خطر من وجودها عندها اكثر مما لو ذهبت طعمة النيران فأنا معترف لك بفضلٍ لا يقدَّر وادّ ان تخبرني بماذا استطيع ان اكافئك . ثم اخذ خاتماً من الزمرد في اصبعهِ ودفعهُ اليهِ قائلاً هل تقبل مني هذا الخاتم . فقال شرلوك يوجد شيء اثمن منهُ اود الحصول عليهِ . فقال الملك قل ما هو فاعطيكهُ للحال فقال شرلوك هو هذه الصورة وأشار الى صورة ارين . فنظر اليهِ الملك بتعجب ثم قال هي لك فخذها اذا شئت . فاخذها شرلوك و بعد ان شكرهُ قال اذاً انتهى الامر واني أتمنى لجلالتك ليلةً سعيدة وحياةً اسعد ثم أخذ بيدي وسار غير ملتفت الى يد الملك التي مدها اليهِ

هذه ذكرى الحادثة التي كان يُخشى ان تودي بشرف مملكة بوهيميا وهذه هي المرة الوحيدة التي غلب فيها ذكآء امرأةٍ افضل طرق شرلوك هولمز . وقد كان كثيراً ما يهزأ بأعمال الجنس النحيف اما بعد هذه الحادثة فلم اعد اسمع منهُ شيئاً من ذلك وكان اذا تكلم عن ارين أدلر او رأى صورتها يظهر مزيد احترامهِ لها ويلقبها بالنكرة المعرَّفة لانهُ اذا ذكرها لم يزد على قولهِ « المرأة »